

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان الوظيفة الحجاجية للاستعارة في الخطاب القرآني بتحليل نماذج منتقاة من سورة الكهف، باعتماد التحليل البلاغي عن طريق شرح الاستعارات، والتحليل التداولي عن طريق السلالم الحجاجية للوصول إلى دور الاستعارة في بناء الحجج وتحقيق الإقناع والتأثير في المتلقي.

وتتمحور إشكالية البحث حول السؤال الآتي: إلى أي مدى تسهم الاستعارة في الخطاب القرآني في بناء الحجج وتحقيق المقصدية الإقناعية؟

وللإجابة عن الإشكالية المطروحة تم اعتماد المنهج الوصفي والجمع بين المقاربة البلاغية والتداولية وتوظيف أدوات نظرية الحجج كالسلالم الحجاجية لتحليل المواضع المختارة من السورة.

وقد توصل البحث إلى أن الاستعارة لم توظف لمجرد التصوير الفني، بل وظفت أيضا لبناء الحجج القرآني؛ إذ وجدناها تقرب المعنى، وت شحن الدلالة بالإيحاءات، وتوجه المتلقي إلى الاقتناع بمواقف معينة، فجمعت بين الإمتاع والإقناع.

الكلمات المفتاحية: الاستعارة، الحجج، السلالم الحجاجية، سورة الكهف، التداولية

ABSTRACT:

This study aims to clarify the argumentative function of metaphor in the Qur'anic discourse by analyzing selected examples from Surah Al-Kahf. The analysis is based on two approaches: rhetorical analysis through explaining metaphors, and pragmatic analysis through argumentative scales, in order to uncover the role of metaphor in constructing arguments and achieving persuasion and impact on the addressee.

The central research question is: To what extent does metaphor contribute to the construction of argumentation and the realization of persuasive intent in Qur'anic discourse?

To address this question, the study adopts a descriptive methodology, combining rhetorical and pragmatic approaches, and applies tools from argumentation theory—particularly argumentative scales—to analyze selected passages from the Surah.

The study concludes that metaphor in the Qur'an is not merely a stylistic or artistic device, but also serves an argumentative purpose. It brings meanings closer, enriches the message with connotations, and guides the recipient toward adopting certain perspectives, thus combining aesthetic appeal with persuasive effectiveness.

Keywords: Metaphor, Argumentation, Argumentative Scales, Surah Al-Kahf, Pragmatics.

1. مقدمة:

ظلّ الخطاب القرآنيّ محلّ عناية مستمرة من قِبَل الباحثين قديماً وحديثاً؛ نظراً لما يميّز به من بناء لغوي، وثراءٍ ودلاليّ، يجمع بين البلاغة والإعجاز، ناهيك عن تعدّد الوظائف التعبيريّة والتّصويريّة والتأثيريّة في نسيج لغويّ متكامل يخاطب العقل والوجدان معاً.

ومن أهمّ الأدوات البلاغية التي تسهم في تحقيق هذه الوظائف المتعدّدة الاستعارة، التي لم تعد في التّصورات اللّسانية الحديثة مجرد حلية بلاغية تزيينيّة، بل أصبحت أداةً تداوليّة محمّلة بدلالات أعمق، تتجاوز الصّورة إلى التّأثير في المتلقّي، وتحقيق مقصدية الخطاب، ولا سيما الخطاب القرآني الذي يهدف إلى الإقناع والتوجيه.

انطلاقاً من هذا التّصور، جاء هذا البحث الذي يسعى إلى الكشف عن الوظيفة الحجاجية التي تؤديها الاستعارة في النّص القرآني، بتحليل نماذج من سورة الكهف بوصفها سورة غنيّة بالصّور المجازيّة الاستعاريّة.

وتتمحور إشكالية البحث حول السؤال الرئيس الآتي: إلى أيّ مدى تسهم الاستعارة في الخطاب القرآني في بناء الحجاج وتحقيق المقصدية الإقناعية ؟

هذه الإشكالية انبثقت عنها جملة من الفرضيات من أهمّها: أنّ الاستعارة القرآنية تتجاوز الوظيفة الجمالية لتؤدي دوراً حجاجياً في بنية الخطاب، وأنّ توظيفها يتم بما يخدم السياق اللغوي والتداولي.

ويهدف البحث إلى إبراز الطابع الوظيفي للاستعارة في بناء الحجاج القرآني، وبيان مدى تفاعل المفهومين ضمن منظور لساني تداولي، مع تقديم قراءة تطبيقية لمواضع الاستعارة في سورة الكهف.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التّحليليّ بتوظيف أدوات التحليل البلاغي والتداولي وخاصة السلالمة الحجاجية، التي تعين على قراءة النص في ضوء مقاصده وسياقاته.

2. التفاعل بين مفهومي الاستعارة والحجاج

الاستعارة من الجذر اللغوي (ع و ر) الذي يدل في كلام العرب على التداول، ومن تعاور الريح لرسوم الديار (الأزهري أ.، 2001م، صفحة 105/3؛ ابن منظور، 1414هـ، صفحة 618/4)، ومنه العارية التي هي ضرب من المعاملات بين الناس، حيث يستعير بعضهم من بعض شيئاً من الأشياء (ابن الأثير، 1420هـ، صفحة 347/1).

والاستعارة ضرب من المجاز اللغوي القائم على علاقة المشابهة (الجرجاني، 1992م، صفحة 67) (مطلوب، 2007م، صفحة 82)، حيث يستفاد معناها الاصطلاحي من المعنى اللغوي القائم على التداول

والإعارة، فتعرف بأنها "نَقْلُ الْعِبَارَةِ عَنْ مَوْضِعٍ اسْتِعْمَالِهَا فِي أَصْلِ اللَّغَةِ إِلَى غَيْرِهِ لِعَرَضٍ" (العسكري، 1998م، صفحة 268).

أما الحجاج فهو مصدر للفعل (حاجُّ يُحاجُّ)، ومادته (ح ج ج)، وهذه المادة في كلام العرب تدور حول القصد (ابن فارس، 1979م، صفحة 29/2)، وجعلوا الحجة منها لأنها تقصد، وهي وجه الظفر عند الخصومة (الفراهيدي، دت، صفحة 10/3)، وكذلك الجدال والتخاصم (الجوهرى، 1987، صفحة 304/1) وتقديم الدليل والبرهان (الفیومی، دت، صفحة 121/1)، وفي كل هذا نلمح القصد؛ فالمحاجُّ يقصد إفحام الطرف الآخر إمّا بتقديم الحجج والبرهان والدليل أو بالجدل والتخاصم.

واصطلاحا يقصد به "كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها" (طه عبد الرحمن، 1998م، صفحة 226).

ويمكن تعريفه بالنظر إلى المعنى اللغوي بأنه تقديم الحجج للحصول على نتيجة معينة (العزاوي، 2006، صفحة 16)، وهذه النتيجة هي ثمرة الاقتناع بما يعرض من الحجج؛ لأن الغرض الأساس من الحجاج هو تسليم الأذهان بما يعرض من أطروحات أو الزيادة في ذلك التسليم (صولة، 2011، صفحة 13).

فإذا عرفنا مدلول الاستعارة ومدلول الحجاج اتضح لنا وجه التفاعل بينهما، فالمتكلم عندما يلقي كلاما يحتوي على استعارات فهو يدّعي معنى اسم لاسم آخر (الجرجاني، 1992م، صفحة 434)، وهذا يتطلب من المتلقي تفعيل العقل والتأويل لإدراك علاقة الادّعاء الحاصلة بين الأصل والفرع، وهذا التأويل يفتح باب التأمل في الخطاب مما يسهم في التأثير النفسي العميق على المتلقي وهذا يستلزم اقتناعه (المودن، 2014، صفحة 249).

إن النظر إلى الاستعارة في البلاغة الجديد يتخطى مجرد كونها زينة لفظية يجمّل بها الكلام إلى اعتبارها وسيلة حجاجية وأداة إقناعية، وفي هذا الصدد يرى بيرلمان أن أيّ تصوّر للاستعارة خارج الحجاج غير مقبول؛ لأنّ دور الاستعارة مرتبط بنظرية التناسب الحجاجي، واعتبارها تناسبا مكثفا ناتجا عن ذوبان عنصر المستعار منه في المستعار له (Perelman, 2012, pp. 61-62).

ولتحقيق التفاعل الأمثل بين مفهومي الاستعارة والحجاج لا ينبغي أن نغفل عنصر السياق الذي يلعب دورا أساسيا في سيرورة الإقناع؛ فتوظيف الاستعارة قد يكون مقنعا في سياق وغير مقنع في سياق آخر، فالسياق له أثر كبير في تأدية الاستعارة لبعدها الحجاجي (سوريّة، 2021م، صفحة 78).

3. حجاجيّة الاستعارة في سورة الكهف

نسعى في هذا المبحث إلى أن نبين كيف تتفاعل الصور المجازية الاستعارية مع السياقات المقامية والتداولية، لتؤدي دورا حجاجيا يرسخ المعنى ويقويه، ويوجه المتلقي نحو تأمل فحوى الخطاب،

والوصول إلى نتيجة مقنعة، وسنعمل في إثبات ذلك بالاعتماد على ما يعرف بالسلم الحجاجي؛ لأن الأقول الاستعارية أقوى حجاجياً وأعلى من الأقوال العادية (العزاوي، 2006، صفحة 103) .

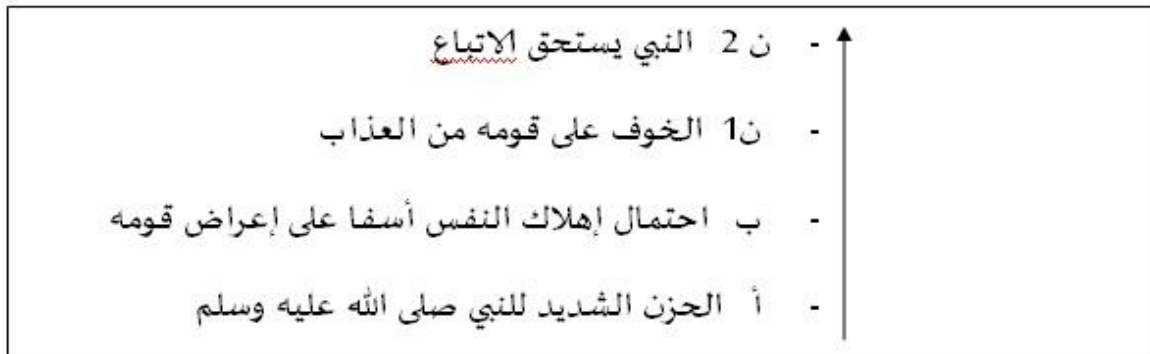
1.3 المثل الأول: قال تعالى: " فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا " (الكهف، 6).

الاستعارة هاهنا استعارة تمثيلية حيث شبه حال النبي صلى الله عليه وسلم وإيّاهم حين تولوا ولم يؤمنوا به وما لحقه من الحزن والأسف على توليهم، برجل فارقته أحبته فهو يهلك نفسه حسرة على فراقهم (الزمخشري، 1407هـ، الصفحات 703/2-704؛ القاسمي، 1418هـ، صفحة 6/7).

إن هذه الصورة الحية لا يراد بها مجرد الإخبار عن شعور النبي صلى الله عليه وسلم بالأسف بل وظفت في بناء حجج توصل إلى تعزيز مقام النبي صلى الله عليه وسلم وتلفت انتباه المتلقي إلى أن هذا النبي يستحق الاتباع والتصديق.

فبالنظر إلى هذه الاستعارة تداولياً نجد أنها تؤدي وظيفة مزدوجة فهي من جهة تهون الحال على النبي صلى الله عليه وسلم (القشيري، دت، صفحة 277/2)، وتسليه (ابن عطية الأندلسي، 1422هـ، صفحة 496/3)، ومن جهة أخرى تحمل أثراً حجاجياً إلى ذهن السامع يقتضي إظهار النبي صلى الله عليه وسلم في قمة الإخلاص الدعوي والعقدي، فهو الذي يكاد يهلك نفسه تحسراً وأسفاً وخوفاً على قومه، وهذا يستدعي اتباعه وتصديقه.

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي التصاعدي لهذه الاستعارة في الشكل الآتي:



نلاحظ أنّ هذا السلم الحجاجي يتدرّج تصاعدياً للوصول إلى إثبات استحقاق النبي صلى الله عليه وسلم للاتباع، وهذا من خلال إثبات حزنه الشديد لعدم إيمان قومه وإغراضهم عن دعوته، حتى إنه ليكاد يهلك نفسه أسفاً على ذلك وهذا نابع من خوفه عليهم من العذاب، كل هذه العواطف تستدعي صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأحقيته بالاتباع.

فالدرجة الأولى تمثل الحجة الأولى في السلم وتظهر موقف النبي صلى الله عليه وسلم حين أعرض قومه عن الإيمان حيث إنه حزن حزناً شديداً يدل على صدق دعوته وهذا يبرئ المتلقي ليرى بعض عظمة النبي صلى الله عليه وسلم.

أما الدرجة الثانية فتتمثل حجة أقوى في بيان أحقية النبي بالاتباع؛ إذ يبين الله تعالى أن حزنه هذا يكاد يفضي به إلى إهلاك نفسه، ولهذا عبر بلعلّ التي تفيد الإشفاق ليحذره من هذا الحزن تسلياً له كي لا يكثر بعد إيمانهم (ابن عاشور، 1984، صفحة 254/15).

وأما الدرجة الثالثة فتتمثل الخوف على قومه من مغبة إعراضهم، وتعد نتيجة أولى تكشف الدافع لحزن النبي صلى الله عليه وسلم الشديد، وهي بذاتها حجة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأحقية بالاتباع.

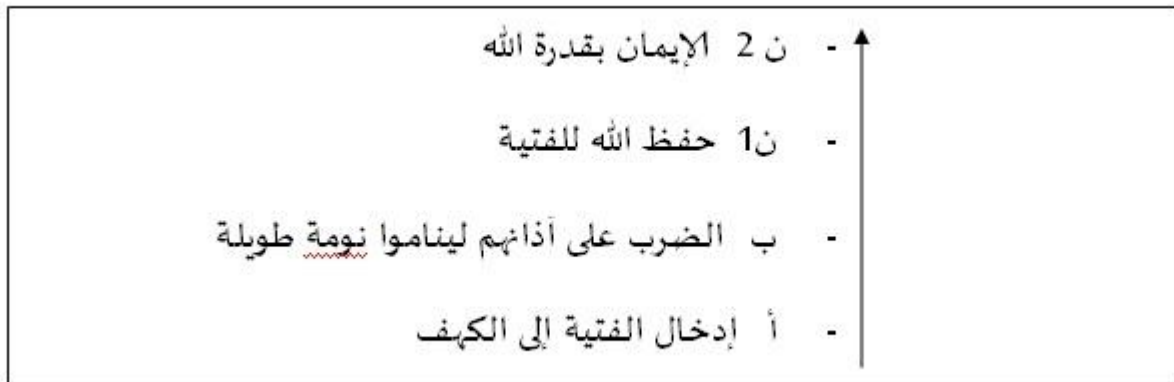
أما الدرجة الأخيرة فهي النتيجة المرجوة من السلم الحجاجي؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم أثبت بحزنه الشديد المفضي إلى الهلاك أنه يرجو الخير لقومه ويخاف عليهم من عذاب الله، فالمتلقي عندما يرى هذه الأوصاف في هذا النبي يدرك يقيناً أنه أحق بالاتباع وأولى بالتصديق.

2.3 المثال الثاني: قال تعالى: " فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا " (الكهف، 11).

الاستعارة هنا استعارة في قوله " فضربنا " وهي إما أن تكون استعارة تبعية أو استعارة تمثيلية، حيث استعمل فعل الضرب المحسوس في غير موضعه المعجمي المعتاد؛ ليصور الإنامة الثقيلة التي أصابت الفتية فعزلتهم وعزلت أسماعهم خاصة عن جميع المؤثرات في الخارج، وشبهها بضرب الحجاب على الأذان كما تضرب الخيمة على السكان (صافي، 1418 هـ، صفحة 148/15).

إن تشبيه الإنامة بالضرب يقرب الحدث إلى الأذهان، ويوجه المتلقي إلى الصورة التأثيرية القوية، هذه الصورة لا تؤدي وظيفة بلاغية جمالية فقط بل تؤدي وظيفة تداولية حجاجية فتقنع المتلقي بقدره الله الخارقة على حفظ أوليائه من خلال معجزة في الزمان والمكان، فالله بقدرته الواسعة يتجاوز ما عهد من قوانين الطبيعة، وهذا مدعاة إلى الإيمان به وبقدرته وحكمته.

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي لهذه الاستعارة في المخطط الآتي:



نلاحظ أن هذا السلم الحجاجي يمثل تدرجاً إقناعياً متصاعداً للوصول إلى النتيجة الأعلى وهي قدرة الله الكبيرة من خلال شاهد واقعي حصل فيما مضى.

فالدرجة الأولى من السلم مستنتجة من سياق الآيات " إذ أوى الفتية إلى الكهف " وهذا الإيواء بفعل الله عز وجلّ حيث هياً للفتية مكاناً آمناً لا يصل إليه هؤلاء الظالمون وفي هذا تمهيد لإظهار عنايته بهم وإثبات الحجة على الخلق للإيمان بقدرته.

أما الدرجة الثانية فهي حجة قوية تبرزها الاستعارة حيث شبه الإنامة بالضرب المحسوس، وهذا جعل النوم أعمق في المعنى، فهو لم يعد نوماً طبيعياً بل أصبح نوماً طويلاً يعزل عن كل المؤثرات والمثيرات وأولها السمع، ولهذا علق الضرب بالأذان مع أن مشاعرهم كلها كانت محجوبة عن اليقظة، لأن الأذان هي الطريق الأول للتيقظ، ولأنه لا يثقل النوم إلا عند ما تتعطل وظيفة السمع (طنطاوي، 1998، صفحة 477/8).

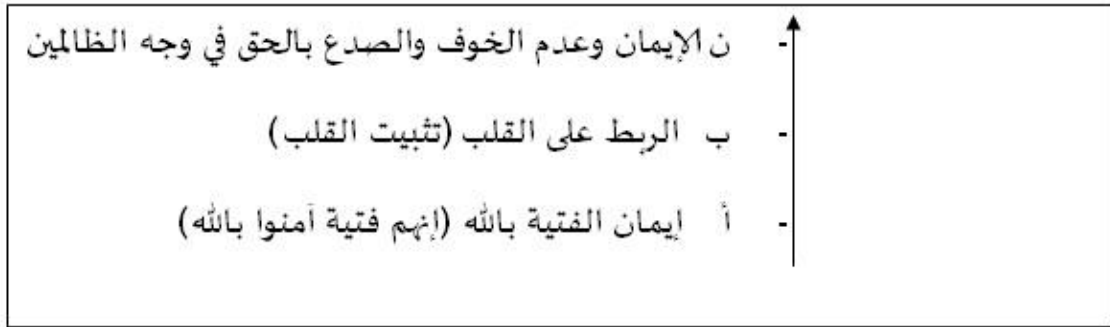
وأما الدرجة الثالثة فتتمثل النتيجة الأولى لإيواء الفتية إلى الكهف وضربه على أذانهم، فالغرض من كل هذا حفظ الفتية من الهلاك على أيدي الظالمين، وهذا الحفظ نفسه حجة تمهد للدرجة الرابعة. الدرجة الرابعة تمثل النتيجة المرجوة من تلك الأفعال المتتابعة من الإيواء إلى الضرب على الأذان إلى حفظ الفتية سنين عدداً، كل هذا يقود المتلقي إلى الإيمان بقدرة الله الواسعة.

3.3 المثال الثالث: قال تعالى: " وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا " (الكهف، 14).

الاستعارة هنا استعارة تصريحية تبعية، حيث استعمل فعل الربط المعروف وهو الشد بالحبس في معنى غير حقيقي وهو تثبيت الإيمان في القلب وعدم التردد فيه (ابن عاشور، 1984، صفحة 272/15)، فالاستعارة تصريحية لأنه صرح بالمشبه به وهو (ربطنا)، وتبعية لأنها تابعة لاستعارة أخرى في المصدر (باقر، 1430 هـ، صفحة 556).

وتتجلى الوظيفة التداولية لهذه الاستعارة في خلق صورة حسية مجسدة تعبر عن التثبيت المعنوي للإيمان في القلوب؛ وهذا التجسيد القريب من الحس البشري يحمل حجة ضمنية تؤكد أن الثبات على الحق يكون بتوفيق من الله وعون منه، كما أن الربط على القلوب يوجه انتباه المتلقي إلى ضرورة العزم على الثبات في المواقف الكبرى حتى يحيطه الله بالعناية والرعاية، كما تقنعه بقيمة الإيمان بعدها قوة باطنية تجعلك لا تجزغ ولا تخاف من الصّدع بالحق، وتصبر على فراق الأهل والنعيم في سبيل الدعوة الحق (الشنقيطي، 1995 م، صفحة 214/3).

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي لهذه الاستعارة في المخطط الآتي:



الثبات على الإيمان والصدع بالحق في وجه الظلم والظالمين، وهو تدرج يتسم بالتصاعد من الإيمان القلبي إلى الثبات القلبي على الحق إلى الموقف العلني الشجاع في وجه الطغاة.

فالدرجة الأولى تمثل التصريح بحقيقة داخلية راسخة (إنهم فتية آمنوا بربههم وزدناهم هدى)، هذه الحقيقة تمثل الأساس العقدي الذي ينبني عليه كل شيء.

أما الدرجة الثانية فهي المرحلة التي تلي الإيمان الداخلي وهي مرحلة الثبات على الموقف بمشيئة الله ورعايته وعبر عنه بالربط ليوحي بالقوة النفسية والعقدية التي تدعمهم في المواجهة العلنية.

والدرجة الأخيرة هي النتيجة الحجاجية المرجوة وهي الصدع بالحق دون خوف، وهي نتيجة حتمية للدرجتين السابقتين؛ لأن من آمن بقلبه وثبت على ذلك الإيمان لا يمكن أن يتزعزع ويخاف من الطغاة بل يصدع بكلمة الحق في وجوههم، وهذه النتيجة تحمل بعداً تداولياً قوياً مفاده إقناع المتلقي بالتأسي بمثل هذا الموقف في مواجهة الباطل.

4.3 المثال الرابع: قال تعالى: "وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا" (الكهف، 21).

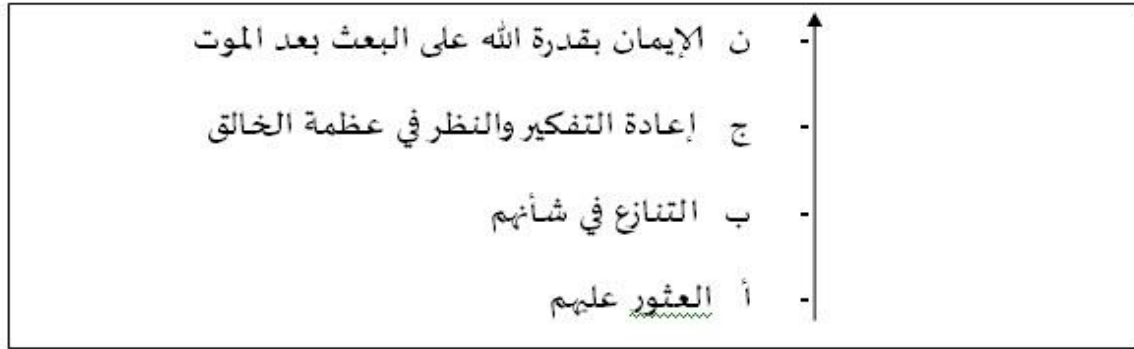
الاستعارة هنا في قوله (يتنازعون بينهم أمرهم)، وهي استعارة مكنية؛ حيث شبه الأمر وهو قضية العثور عليهم بشيء مادي محسوس يتنازع عليه كالغنيمة أو الثروة ثم حذف المشبه به وترك لازمة من لوزمه وهي التنازع القائم حوله (صافي، 1418 هـ، صفحة 164/15) (درويش، 1415 هـ، صفحة 565/5).

نجد أن هذا الشأن المعنوي قد صور صورة حسية مشاهدة في الواقع حتى إنهم يتنازعون حوله كما يتنازع الناس حول الغنيمة أو الثروة أو أي شيء مادي وهذا يقرب المعنى ويوحي بشدة الخلاف واحتدامه بينهم، وهذا الخلاف قيل في الحشر فبعضهم يقول: تحشر الأرواح مجردة، وآخر يقول: بأجسادها، وقيل بل في أمر الفتية فقائل يقول: ناس صالحون، وناس يقولون: لا ندري من أمرهم غير أن الله تعالى أراد هدايتنا بهم (البقاعي، دت، صفحة 40/12).

إن شدة التنازع التي صورتها الاستعارة تؤدي وظيفة تداولية تتمثل في التأثير في المتلقي ليعيد التأمل ويتفكر في عظمة الخالق، وهذا يدفع إلى الإيمان الجازم بقدرة الله على البعث بعد الموت، فكما أن هؤلاء الفتية ناموا هذه المدة الطويلة ثم عثر عليهم أحياء، ف كذلك الذين يموتون سيبعثون حتماً عند قيام الساعة.

وهذه النتيجة مستفادة من الآيات إذ التقدير أعثرنا عليهم حين يتنازعون أمرهم ليعلموا أن وعد الله حق، بمعنى أن حال هؤلاء الفتية في نومهم واستفافتهم كحال من يموت ثم يبعث، وفي هذا استدلال بأمرهم على صحة البعث (النسفي، 1998 م، صفحة 2/293).

ملاحظة: تمثّل السهم الحجاج البناء الاستدلالي الخلفي الآتي:



الإيمان بقدرة الله على البعث، حيث تم بناؤه من أربع درجات متكاملة تنقل المتلقي من الشك والتنازع إلى الإيمان الجازم.

فالحجة الأولى تبدأ من حدث واقعي مدهش وهو العثور على هؤلاء الفتية أحياء سالمى الأجساد بعد نوم طويل، وهذا العثور يشكل مفعولاً تداولياً قوياً؛ لأنه يواجه المتلقي بحقيقة حسية تستدعي الانتباه.

والحجة الثانية تتمثل فيما أثير من النقاش والتنازع حول حول الفتية، وهنا يفتح الباب أمام تساؤلات جوهرية حول الموت والحياة والبعث، ويستدعي البحث عن تفسير أرفع من مجرد الصدفة، فينتقل مباشرة إلى الحجة الثالثة فيعيد توجيه المتلقي إلى قدرة الله وتدبيره، فيعي ويستوعب الرسالة الخفية في الحدث وهي أن الله الذي حفظ هؤلاء كل هذا الزمن قادر على أن يبعث الموتى أيضاً وهنا ترتقي الحجة من المستوى الواقعي إلى المستوى التأملي العقدي.

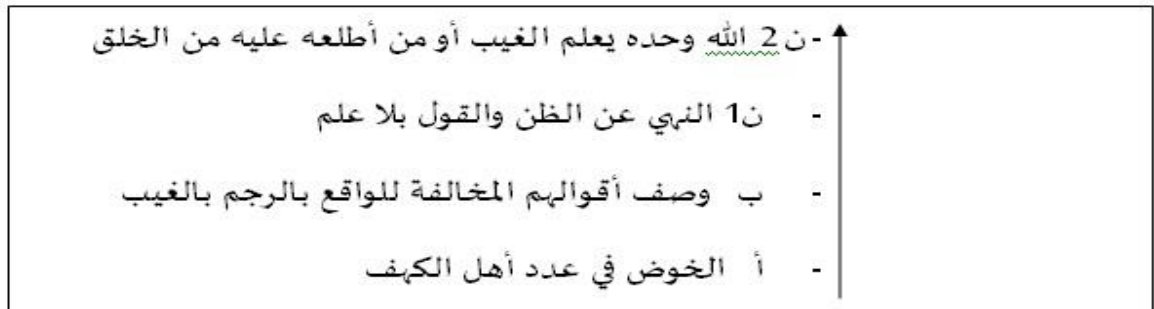
بعد المرور بهذه الدرجات الثلاث نصل إلى النتيجة المتوخاة من الحجاج ويصبح الإيمان بالبعث أمراً معقولاً مقبولاً من خلال التدرج الحجاجي.

5.3 المثل الخامس: قال تعالى: "سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ" (الكهف، 22).

الاستعارة في هذه الآية الكريمة في قوله (رجما بالغيب)، وهي استعارة مكنية؛ لأنَّ الرجم في الأصل هو الرمي بحجر أو نحوه (ابن عاشور، 1984، صفحة 291/15)، وهنا شبه ذكر أمر من غير علم يقيني أو تثبت أو روية، بقذف الحجر الذي لا فائدة في قذفه، ولا يصيب مرماه، ثم استعير له، ووضع الرجم موضع الظن، حتى صار حقيقة عرفية فيه (الألوسي، 1415هـ، صفحة 229/8) (صافي، 1418هـ، صفحة 169/15).

والغرض من هذه الاستعارة حجاجياً إقناع المتلقي بعدم الخوض والتكلم في أمر مغيب عنه لا يعرف له مصدراً ولا علماً (أبوزهرة، دت، صفحة 4513/9)، وفيه أيضاً توبيخ ضمني لمن يقوم بهذا الفعل، وهذا يوافق قوله تعالى في آية أخرى: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" (الإسراء، 36).

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي لهذه الاستعارة في المخطط الآتي:



ن

سلوك خاطئ وهو الخوض في أمر غيبي مثل عدد أهل الكهف، ثم ينتقل إلى نقد هذا السلوك فالنهي عنه، وينتهي بالحكم العقدي المتعلق بعلم الغيب.

فالدرجة الأولى تبرزها الآيات من ذكر أقوالهم المتباينة سيقولون ثلاثة، أربعة..، هذه الأقوال تعبر عن الخوض فيما لا طائل تحته، وهي تمهيد حجاجي يظهر انشغال الناس بما لا يفيد، وصدق سيد قطب حين قال: "فهذا الجدل حول عدد الفتية لا طائل وراءه. وإنه ليستوي أن يكونوا ثلاثة أو خمسة أو سبعة، أو أكثر" (قطب، 1412هـ، صفحة 2265/4).

أما الدرجة الثانية ففيها توصف أقوالهم بأنها رجم بالغيب على سبيل الاستعارة المكنية، وهذا الوصف يعد حجة بلاغية قوية تحط من مصداقية ما ذهبوا إليه، وتقلل من أثرها على المتلقي.

وبعدها تأتي الدرجة الثالثة التي تعبر عن النهي عن الظن والقول بلا علم؛ إذ تعتبر نتيجة أولى مستفادة من مفهوم الخطاب ويصدقها السياق اللاحق " فلا تمار فيهم " " ولا تستفت فيهم منهم أحدا " .

أما الدرجة الأخيرة فهي النتيجة الثانية التي يتوج بها السلم الحجاجي، وهي نتيجة إيمانية تؤسس لقيمة معرفية مفادها أن الغيب لله وحده يطلع من يشاء عليه، فلا يُنال بالحدس أو بالظن.

هذا السلم الحجاجي يصحح منهجياً طريقة التفكير والتلقي؛ إذ يبدأ من تصحيح سلوك بشري شائع وهو القول بلا علم في أمور غيبية، ثم يجزّده من الشرعية بوصفه بالرجم مما يجعله أمراً منهياً عنه ثم يبني وعياً عقدياً جديداً يدرك أن الله وحده المطلع على الغيب، فيجمع بذلك قيماً تربوية وتعليمية في آن واحد، والغرض من كل ذلك غرض تداولي هو إقناع المتلقي بضرورة التوقف عن الجدل العقيم الذي لا فائدة منه.

6.3 المثال السادس: قال تعالى: " إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا " (الكهف، 29).

الاستعارة هنا في قوله " أحاط بهم سرادقها "، فالسُرَادِق: كل ما أحاط بشيء (الزجاج، 1988م، صفحة 282/3)، وقيل: الحُجْرَة التي تكون حول الفُسطَاط (ابن قتيبة، 1978م، صفحة 267)، وهو فارسي معرب (الراغب الأصفهاني، 1412هـ، صفحة 406)، فشبه ما يحيط بهم من النار بالسرادق على سبيل الاستعارة التصريحية (الزمخشري، 1407هـ، صفحة 719/2).

وقد رُشِّحت الاستعارة بذكر الإحاطة (أحاط بهم) وهي من ملائمت السُرَادِق (المشبه به) (الألوسي، 1415هـ، صفحة 459/21)، فعمّقت الصورة الاستعارية وأكسبتها مزيداً من الإيحاء؛ إذ إنّ ذكر الإحاطة مع السرادق الذي يفيد الإحاطة، يرسخ المعنى ويبالغ فيه، والمراد أنه لا مخرج لهم منها ولا فرجة يتفرجون بالنظر إلى ما وراءها (الرازي، 1420هـ، صفحة 459/21)؛ لأن رؤيتهم لمكان خالٍ من النار قد تشعرهم بالأمل في الخروج، والله يريد أن يؤيسهم من الخروج (الشعراوي، 1997م، صفحة 8885/14).

ويرى الطاهر بن عاشور أن الاستعارة مكنية، حيث شبه النار بالدار، وأثبت لها السرادق مبالغة في إحاطة دار العذاب بهم، وشأن السرادق يكون في بيوت أهل الترف، فإثباته لدار العذاب استعارة تهكمية (ابن عاشور، 1984، صفحة 308/15).

إنّ هذه الاستعارة تفعل حجة التخويف والردع، للحصول على نتيجة حجاجية تجعل المتلقي يبتعد عن الظلم لكي ينجو بنفسه؛ فالظالم الذي يعلم أنّ هذه النار الموصوفة بهذا الوصف هي جزاؤه، سيعيد النظر في حاله، وربما يدفعه هذا إلى التوبة والتّجاة بنفسه من هذه النار.

ويمكن تمثيل السلم الحجاجي لهذه الآية كالاتي:

↑	- ن 2 التوبة والنجاة بالنفس من العذاب
	- ن 1 حصول الردع والتخويف بحلول العذاب وشموليته
	- ب تشبيه النار بالسرادق وترشيحه بالإحاطة
	- أ تهيئة وإعداد النار للظالمين

نلاحظ أنّ هذا السلم يعرض تدرّجا تصاعدياً في التأثير الوجداني والمعنوي في المتلقي، ويستند إلى تسلسل منطقيّ بداية من التحذير الإلهي بالنار المعدة للظالمين ووصولاً إلى الاستجابة المتوقعة من الظالمين وارتداعهم عن الظلم.

فالدّرجة الأولى التي افتتح بها السلم تفيد أنّ النار معدّة للأخذ المباشر إليها، فهي لا تحتاج إلى جهد لإيقادها، ولا تستغرق زمناً لإعدادها! (قطب، 1412هـ، صفحة 2269/4)، وهذا الوصف الواقعيّ يحمل في طياته إنذاراً ضمنياً يلفت انتباه المخاطب ويؤسّس للتأثير الحجاجي.

وأما الدّرجة الثانية، ففيها تفعيل للاستعارة التصريحية المرشحة التي تزيد الصّورة رهبة وتجسيدا فتؤدّي وظيفة حجاجيّة بتعزيزها للبعد الإقناعي المتمثل في الخوف والارتداع.

وأما الدّرجة الثالثة، فتصوّر الأثر النفسيّ المتوقّع من هذا الظّالم الذي تنتظره نارٌ لا أمل في الخروج منها، فينتج بذلك الشّعور بالخوف والرّهبة؛ مما يجعل الخطاب يبلغ مقصده من التخويف والردع.

أما الدّرجة الأخيرة، فهي الهدف الحجاجيّ الأسمى الذي يسعى الخطاب إلى تحقيقه، وهو أنّ يحدث الأثر العمليّ على المتلقي؛ ليترجم في صورة التوبة والابتعاد عن الظّلم، والنّجاة بالنّفس من تلك النّار، وهذا هو المقصد التداوليّ الذي سعى الخطاب إلى الوصول إليه، عبر هذا التدرّج التصاعديّ المتقن.

هذه بعض المواضع التي اتسع المقام لتحليل الاستعارة فيها وبيان دورها التداولي الحجاجي وبعدها التأثيري في المتلقي.

4. خاتمة:

اتضح لنا بعد دراسة الاستعارة وتحليلها في سورة الكهف أنها لم توظف لمجرد الزينة اللفظية والتصوير الفني، بل وظفت أيضاً لبناء الحجج القرآني؛ إذ وجدنا أنها تقرب المعنى من خلال تجسيده في أمور محسوسة، وتشحن الدلالة بالإحياءات، وتوجه المتلقي إلى الاقتناع بمواقف معينة. وقد كشفت دراسة السلالم الحجاجية في الأمثلة المنتقاة للتحليل عن ترتيب منطقي تصاعدي للحجج للوصول إلى نتائج مقصودة.

إن تحليل الاستعارات في سورة الكهف وفق النظرة التداولية يؤكد فاعليتها في التأثير ودورها في الإقناع وهي الغاية الأسمى للحجج، كما تثبت الدراسة التكامل بين البلاغة والتداولية في بناء الخطاب القرآني. وقد توصلنا إلى جملة من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي:

- تسهم الاستعارة في بناء الحجج القرآني من خلال تجسيد المعاني في صور حسية ملموسة قريبة إلى ذهن المتلقي مما يسهل في إدراكها ويقوي أثرها الإقناعي.
- تنوعت وظائف الاستعارة بين الإقناع، والتأثير، والتقريب، والتحذير وهذا يعكس دور البلاغة في خدمة المقاصد الحجاجية.
- للاستعارة دور أساسي في تشكيل السلالم الحجاجية للأمثلة المختارة حيث تمثل حجة قوية في تثبيت النتيجة المرجوة.
- تنوعت الاستعارات في سورة الكهف بين التصريحية والمكنية والتمثيلية والتبعية والمرشحة وكلها تسهم في إيصال المعنى والتأثير في المتلقي.
- الاستعارة يكون فهمها أعمق بإشراك المفهوم التداولي في تحليلها لاتصال الحجج بالمقام والسياق والمرسل والمتلقي والقصد من الخطاب.
- تؤكد الدراسة أن الاستعارة ليست مجرد تصوير فني بل هي أداة تداولية حجاجية فهي تحقق الإمتاع والإقناع.
- وفي الختام نوصي الباحثين بتعميق الدراسة التداولية للصور البيانية في القرآن الكريم، وتوسيع نطاق البحث ليشمل سوراً أخرى، للجمع بين الوظيفتين الجمالية والإقناعية، والتدرب على التحليل الحجاجي وفهم الحجج القرآنية، كما ندعو أيضاً إلى ربط البلاغة العربية عموماً بالنظريات التداولية الحديثة لقراءة التراث قراءة جديدة.

المراجع

- إبراهيم بن السري الزجاج. (1988م). معاني القرآن وإعرابه. بيروت: عالم الكتب.
- إبراهيم بن عمر البقاعي. (دت). نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.
- أبو القاسم محمود الزمخشري. (1407هـ). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. بيروت: دار الكتاب العربي.
- أبو بكر العزاوي. (2006). اللغة والحجاج. بيروت-لبنان: مؤسسة الرحاب الحديثة.
- أبو منصور محمد بن أحمد الأزهرى. (2001م). تهذيب اللغة. بيروت-لبنان: دار إحياء التراث العربي.
- أبو هلال العسكري. (1998م). كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. بيروت-لبنان: المكتبة العصرية.
- أحمد بن فارس ابن فارس. (1979م). مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.
- أحمد بن محمد الفيومي. (دت). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. بيروت: المكتبة العلمية.
- أحمد مطلوب. (2007م). معجم المصطلحات البلاغية. بيروت-لبنان: مكتبة لبنان ناشرون.
- إسماعيل بن حماد الجوهري. (1987). تاج اللغة وصحاح العربية. بيروت: دار العلم للملايين.
- الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني. (1412هـ). المفردات في غريب القرآن. دمشق-بيروت: دار القلم-الدار الشامية.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي. (دت). كتاب العين. بيروت: دار ومكتبة الهلال.
- السيد جعفر باقر. (1430هـ). أساليب البيان في القرآن. طهران: مؤسسة بوستان كتاب.
- حسن المودن. (2014). بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب. عمان: كنوز المعرفة.
- سيد قطب. (1412هـ). في ظلال القرآن. القاهرة: دار الشروق.
- طه عبد الرحمن. (1998م). في أصول الحوار وتجديد علم الكلام. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي. (1422هـ). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- عبد القاهر الجرجاني. (1992م). دلائل الإعجاز. القاهرة: مطبعة المدني.
- عبد الكريم بن هوازن القشيري. (دت). لطائف الإشارات. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبد الله بن أحمد النسفي. (1998م). مدارك التنزيل وحقائق التأويل. بيروت-لبنان: دار الكلم الطيب.
- عبد الله بن مسلم ابن قتيبة. (1978م). غريب القرآن. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- عبد الله صولة. (2011). في نظرية الحجج دراسات وتطبيقات. تونس: مسكيلاني للنشر.
- لمجادي سوريّة. (2021م). الاستعارة والحجاج. أفانين الخطاب ، 68-81.
- محمد الأمين الشنقيطي. (1995م). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت-لبنان: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

- محمد الطاهر ابن عاشور. (1984). تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. تونس: الدار التونسية للنشر.
- محمد القاسمي. (1418هـ). محاسن التأويل. بيروت-لبنان: دار الكتب العلمية.
- محمد بن أحمد أبو زهرة. (د.ت). زهرة التفاسير. بيروت: دار الفكر العربي.
- محمد بن عمر الرازي. (1420هـ). مفاتيح الغيب المسمى التفسير الكبير. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- محمد بن مكرم ابن منظور. (1414هـ). لسان العرب. بيروت-لبنان: دار صادر.
- محمد سيد طنطاوي. (1998). التفسير الوسيط للقرآن الكريم. القاهرة: دار نهضة مصر.
- محمد متولي الشعراوي. (1997م). تفسير الشعراوي - الخواطر. القاهرة: مطابع أخبار اليوم.
- محمود الألوسي. (1415هـ). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. بيروت: دار الكتب العلمية.
- محمود صافي. (1418هـ). الجدول في إعراب القرآن الكريم. دمشق: دار الرشيد.
- محيي الدين درويش. (1415هـ). إعراب القرآن وبيانه. حمص- سورية: دار الإرشاد للشؤون الجامعية.
- نصر الله بن محمد ابن الأثير. (1420هـ). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. بيروت-لبنان: المكتبة العصرية للطباعة والنشر.
- Perelman, C. (2012). *L'empire Rhétorique. Rhétorique et Argumentation*. Paris: Vrin.